عيادة الباشمهندس

اســـــم الكتـــــاب: عيـــــادة الباشـــــمهندس

التـــأليـــــــــــف: حســـام الـــدين محمـــد مـــدبولي

مراجعة وإخـراج فنـي: سالم عبد المعـز (عمـرو سـواح)

رقـــــم الإيـــــداع: 2021 / 11238

الترقـــيم الـــدولي: 978-977-835-250-4

النـــــــــــاشر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

دار زحمة كتاب للنشر

Facebook

Email za7ma-kotab@hotmail.com

Tel 002 01205100596
002 01100662595

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

لدار زحمة كُتَّاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

عيادة الباشمهندس

الكاتب

حسام الدين محمد مدبولي

مُقَدِّمَة

لستُ طبيبًا نفسيًّا، ولكنني أعشق اختراق النفس البشرية، وأغوص في أعماقها، وأواجه بكلّ شجاعةٍ هذا الصندوق الأسود المُحكم بتفاصيل النفس البشرية..... فكان المهندس من داخل العيادة.

غواص في النفس البشرية

حسام الدين محمد مدبولي

*****

العلاقة بين

الباشمهندس والباش حكيم

باشمهندس:

كلمة يرددها الجميع وتقال للمهندسين من باب الاحترام.

فهل أحد يعرف معناها أو أصلها؟

هي مصطلح من اللغة العثمانية أي التركية القديمة، تتكون من كلمتين: باش - بمعنى رأس أو زعيم أو رئيس-، ومهندس.

وهو رئيس المهندسين وكانت رتبة ومنزلة عالية جدًّا في زمن الدولة العثمانية حيث لا ينالها إلا عددٌ محدودٌ من المهندسين المهرة.

وأما **باش حكيم** فهو كبير الأطباء.

وهذه هي العلاقة العلمية والوظيفية، ولكن في هذا الكتاب العلاقة بينهما علاقة وطيدة، فرغم اختلاف الدراسة لكل منهما تمامًا، وأن لكل منهما مكانًا دراسيًّا مختلفًا ولا مقارنة أصلًا ولكن بينهما خيط رفيع، ليس مجموع الثانوية العامة بالقطع، ولكن لكل منهما بداخله الصندوق الأسود ألا وهو النفس البشرية.

فالطبيب -والنفسي خاصةً- هو من يستطع تحليل النفس وتحديد عيوبها ومميزاتها وأمراضها وعلاجها وكيفية تصحيح مسارها بل وترويضها أحيانًا وهذا عمل ممتع جدًّا لمن يحبه رغم كثرة مشاكله والتي حتما تنعكس على الطبيب ولا بد له كل فترة من تفريغ بطاريته العقلية ليتمكن من الاستقبال الذي لا يضره هو شخصيًّا، ولهم كل التقدير والاحترام لما يبذلونه في هذا المجال المرهق ذهنيًّا.

ولكن هنا الباشمهندس ليس طبيبًا بالطبع ولكن يُشارك الطبيب من الناحية التحليلية بصفته أن دراساته كلها قائمة على التحليل الحسابي والرياضة الحديثة والتي تصل إلى مرحلة

معقدة ذهنيًا ولكنه حتما ولا بد من اجتياز تلك المشاكل وتحليلها..... ولا سيما لو أن هذا المهندس يعشق علم النفس ومقتنع به، ربما لعدة أسباب... هو يحب هذا العلم لذاته وربما رأى من أطباء هذا التخصص من يُبدع فيه فازداد تعلقًا به، وربما لأنه ينتهج كل خيوط حياته للأسلوب الأمثل سواء في حياته العملية أو الخاصة والتي تفيده في معرفة من يتعامل معهم وطبقًا لطبيعة عمله.

الحقيقة أن هذا العلم شيق وممتع، والإبحار والغوص فيه يُمتعني.

وأعلم أن هناك خطًا فاصلًا لا أتعداه لأنني لستُ طبيبًا أولًا، وثانيًا لأنه في حالة اجتياز ذلك الخط فلن أعود بكامل قواي العقلية، فهذا طريق محفوف بالمخاطر والغرق ولذلك أغوص باستمتاع برؤية الباشمهندس التحليلية مع الفرق بالتحليلية الطبية.

فهي رؤى لحالات ونماذج كثيرة من واقع حياتنا نراها وقد نمارسها ولا نفكر فيها أو نتخطاها أو نخشى اختراقها، فقد تجد نفسك هنا أو من تعرفه، فتكتشف أمورًا كانت عصيبة عليك

فتراها هنا من فوق السماء وأنت مُحلق فتعرف حجمها الحقيقي على الأرض فتجتازها بيسر.

(وهو المطلوب إثباته) #....

تلك العبارة من أدوات المهندس.

*****

سر الإبداع

تحدث زائر اليوم مع الباشمهندس من داخل عيادته، عن قسوة الحياة والمواقف التي تعرض ويتعرض لها وأن الحياة أصبحت همًّا وحزنًا لا يرى فيها أي تفاؤل....

نظر إليه الباشمهندس نظرة تأمل وقال له:

- عزيزي هل تعلم أن ما تتعرض له قد يكون سببًا لتقدمك، لنجاحك؟ هل تعلم أن هذا الحزن الدفين بداخلك والذي حفر في وجهك قنوات من كثرة دموعك والهالة السوداء تحت عينيك ما هو إلا سر إبداعك!!

ونظر إلى زائره قائلا:

- "لا تقاطعني ولا تندهش. نعم ألا تعلم أن كثيرين من الأدباء والعباقرة والفنانين المبدعين ما كان نجاحهم إلا هذا السر.... فقد تحول هذا الحزن إلى كتلة متحركة متوهجة

كسرت حد الانهيار إلى القفز لنجاح لم يُتوقع.. فالإنسان المجروح أكثر الناس إحساسًا وأكثرهم بصيرة ذات اللحظة، فتسمو روحه إلى أسمى معاني الأخلاق والرومانسية والتي تتحول إلى طاقات هادفة، فقد تُبدع في عمل... في هواية.. في خدمة الإنسانية.. قد تعوض إنسانًا عن فقد حبيب أو فقد معنوي أو مادي فترزق الثواب بإدخال السرور وتفريج كربات وتفوز بدعوة صادقة من القلب لباب السماء فتُفتح لها أبواب الرحمن الجبار جابر الخواطر.....

لقد وصلت إلى مرحلة شفافية بهذا الابتلاء وصبرت عليه فمنحك الله الجائزة.....

عزيزي الزائر قد تصل إلى مكانة بحروفك وكلماتك وأفعالك.....

اعلم أنك وصلت إلى تلك المرحلة لأنك تُعد لمرحلة أنت ذاتك ستُدهش أنك أنت ذاتك.

*****

حوار مع طبيب نفسي

(١) هل للقلب عقل؟؟ أم للعقل قلب؟!

حقا ما أجمل أن تُجالس طبيبًا نفسيًّا وتستمتع بالحديث معه فالغوص في النفس البشرية يحتاج غواصًا بارعًا يصل للعمق ويعود سريعًا، فالعمق هناك كالبركان الخامد ينشط فجأة وقد تلقى ما لا يحمد عقباه.

كانت هذه رسالة ترحيب الباشمهندس في عيادته بضيفته الطبيبة النفسية (داليدا).. والتي تلقتها ببسمة مريحة وهادئة قائلة:

- نعم يا بشمهندس ولكن ليس كل طبيب ستجد معه تلك المعزوفة التي عزفتها.

فقطاعها قائلًا:

- اسمحي لي بتشغيل موسيقى عُزفت لاختراق النفوس، واسمحي لي سأجلس اليوم أنا على الشزلونج مكان الزائرين فاليوم

أنا في استضافة علم النفس ولا بد من احترامه وتذليل كل أدواته له، ولكن ضيفتي العزيزة سأحاورك أنا اليوم وليس المعتاد في عيادتك.

واسترخى الباشمهندس وأطلق عقله مع الموسيقى وبدأ الحوار:

- دكتورة، سأطرح عليك أسئلة وأعرف بمهارة علم النفس أن إجابتها ستكون بلسان علم النفس ولن تخترق شخصيتك...

تعالت الضحكة بينهما... وباغتها الباشمهندس:

- أين الحب الأول في النفس؟

نظرت إليه الطبيبة:

- أتريد إجابة؟

- بل أريد موقعه في النفس أهو حقا موجود؟ وهل في القلب أم في العقل؟

فنظرت إليه قائلة:

- بل أخبرني أنت يا بشمهندس!

- "نعم ضيفتي... هو موجود.. موجود في أواصل النفس وسيظل موجودًا حتى الرحيل ولكن تُرى أهو حي؟!

أهو ما زال يتنفس؟!

أهو أول حب ورحل؟

سأفجر مفاجأة يا ضيفتي.... فلن أخبرك بلساني... بل سأترك الإجابة لكل نفس عاشت معي، وكل نفس سمعتني، وكل نفس عرفتني، وكل نفس تقرأ لي... فالإجابة هناك معهم هم.. نعم.

- انتظر يا بشمهندس، أين أنت؟!

- أنا هنا، وأطرح السؤال الثاني... وهو عن الصراع بين العقل والقلب.

- إذن حدثني أنت أيضًا عن ذلك يا بشمهندس.

- نعم فهو الصراع الأبدي، هل القلب مظلوم؟ وهل العقل ظالم؟! الحقيقة التي أراها أن القلب يعيش حياة هادئة بين الطبيعة وشذا الزهور ويتخذ قرارات ما تلبث أن يعرفها العقل فيرفضها ويحدث الصراع... فالعقل يرى الخيوط الدامسة في الظلام ويرتب توقعاته ويصدر القرارات..... ولكن.....!!

هل للقلب عقل؟؟ أم للعقل قلب؟!

هل يستطع القلب أن يحل مكان العقل في الأوامر؟

نعم يفعل ولكن بقسوة وغلظة.... لا يتحملها القلب وقتها ويُصاب بصدمة ويمرض ويحتاج إلى علاج وربما تدخل جراحي... لأنه أراد أن يتحول.. أراد أن يتغير ... أراد أن يواكب الحياة القاسية مع بشر ما هم ببشر... فتجرع كأس المرارة والقسوة رغمًا عنه ليتعايش معهم وهو رافض ذلك، فحتما سيسقط..

ولكن يستطيع العقل أن يعيش ويحل مكان القلب، فعندئذ سيخضع للهدوء والرحمة والعدل والتسامح وسيبث ذلك في كل النفس وستكون كالنسمة.... ولكن هل سيتركونه كذلك؟؟!

وهنا انتهت الجلسة الأولى بينهما، على موعد آخر.....

*****

الراحة النفسية

في صباح يوم مغرد دخل الباشمهندس العيادة يحتسي قهوته الممتعة المفعمة بالنشاط...

دق زائرٌ جديدٌ البابَ مستأذنًا بالدخول:

- من الطارق؟

جلس حسام يتأمل عيادة الباشمهندس بشغف ثم نظر إليه قائلا:

- حدثني وأخبرني كيف أجد راحتي النفسية.

فأجابه الباشمهندس:

- بل أخبرني أنت يا حسام ما بداخلك.

رفض حسام الحديث والتزم الصمت لوهلة ثم تحدث قائلًا:

- لا أعرف ولا أستطع ولم أصل... جئت إليك اليوم لأسمعك يا بشمهندس.. أخبرني أين الراحة النفسية؟!

- "تأمل يا حسام تلك الصورة الرائعة معي، انظر هناك حيث اللون الأزرق بين السماء والبحر وبينهما القرص الذهبي يشع اللؤلؤ يعانق ذرات الموج الأزرق وذرات الرمال الذهبية....

تُرى هل وجدت نفسك هناك؟

أخبرني كيف استمتعت؟

أبرائحة عبير البحر؟!

أبلون الذهبي مع الأزرق؟!

كيف تجد نفسيتك هناك؟؟!

ثم حدثني عن اللون الأخضر يحتضن ألوان الورد برائحته الذكية مع صوت السريان الخافت لشلال هادئ؟

أيا حسام وجدت نفسك هناك؟

وهل شذا الورود أنعش رئتك؟

اخترق قلبك؟!

وماذا عن فنجان قهوتك المفعم بالحيوية في ركنك وحيدًا ترفرف في هدوء نسمات الصباح تطير بخيالك لكل بعيد لتعود بكامل نشاطك تخترق مصاعب الحياة؟

وهل تعلم أن هناك من يستمد راحته النفسية من مشاهدة مباراة ويا حبذا لو كان معه زوجته في بيتهما؟!

ثم ماذا عن الذين يفكرون ويلونون بريشتهم الحياة بلون التفاؤل، والذين يكتبون بنبضهم ما سطرته الحياة، ومن يعزفون أوتارهم الصادقة؟

وأما الكنز الحقيقي للراحة النفسية أن تكون بين يد الجبار جابر الخواطر، الرحمن، الرحيم، يعلم ما في نفسك فهو الذي خلقها.. تخيل أنك بين يد الكريم في داره، كيف تكون الاستضافة؟! كيف سيكرمك الكريم؟!

دون الله ستجد نفسك مُشتتًا تسير دون جدوى بلا هدف، بلا ضوابط، ستنطلق بين الثواب والعقاب، ستعلم كيف تكون الحياة.. ستعرف الرضى..

السعادة... رزقك... عمرك.. كله بيد مالك الملك.....

عزيزي حسام... الراحة النفسية هي خلود النفس لله.. للطبيعة.. لحركة الكون..... اختر ما رأيته من لوحات عرضتها لك وما لم أذكره الكثير.... واترك ذاتك عندها...

واعلم أن النفسية وعاء... فانظر ما تملؤه فيه؟

*****

المدير الناجح والإدارة الفاشلة

نعم هناك علاقة بين نجاح المدير وإدارته وكذلك فشله وفشل إدارته.

كان هذا عنوان محاضرة يلقيها الباشمهندس في ندوة عن (الإدارة) وقد استهل كلمته بأن النجاح له مقومات وملكات ليس لأي شخص يمتلكها وهي قد تكون مكتسبة وقد تكون موهبة.

ولذلك من هو المدير الناجح؟

وما هي الإدارة الناجحة؟

وهل هناك علاقة بينهما؟

المدير الناجح هو من له خطة عمل طموحة ولكن بمقومات نجاح معلومة، بمعنى لا مانع من الطموح ولكن كيف أستثمر مقومات العمل في ذلك وتذليل الصعاب للنجاح وليس أن أطمح وكفى، فسيتحطم الطموح هنا وبفشل.

وأول عناصر نجاح المدير الناجح هي الإنسانية فكلما كان مرتبطًا بالعاملين معه وكان معهم في إنسانياتهم كان النجاح أثمن ولا يُقدر... فكيف تطلب من العاملين أن ينجحوا وأنت فاشل؟

فبعض المديرين يظن أن النجاح هو كثرة البناء -أيًّا كان عددها داخل العمل- وخلاص .... ليظهر للجميع أنه فعل وكذلك يظن بكثرة أوامره واجتماعاته أنه مُسيطر، هيهات فالسيطرة من على بعد ودون رؤية العاملين حتى لهو النجاح البارع، فإذا أحببت ناسك أحبوك ونجحت الإدارة، والعكس بالعكس فسيعرقلون المسيرة ليشمتوا فيك لأنك قتلت مشاعرهم، فالاهتمام بالمناسبات الإنسانية للعاملين يرفع معنوياتهم ويشعرون بالأسرة الواحدة وما يُصيب الأسرة لا بد من علاجه فيكون النجاح من القلب وليس الظاهر.

وكذلك من مقومات المدير الناجح عدم رمي أذنيه وسط الناس ليتبول فيها كل منهم ويستمتع هو بذلك وقد يُكافئ من يفعل ذلك ليظل يتبول في أذنيه كالشيطان عندما يُضيع على الإنسان صلاة الفجر في وقتها، وهذا الشيطان يُطلق عليه (العصفورة) وهو يتغذى على مدح المدير.

كما أن هناك (الطبال) وهذا ما يمدح المدير على كل عمل يفعله ولو فيه ضرر للناس المهم أنه ظل المدير....

فالواقع فشل الإدارة من فشل المدير قولًا واحدًا لأنه بكثرة تنقلات العاملين بين الأقسام في فترة وجيزة يترك أثره السلبي فلا يُركز أحد في عمله ولا يفهم ما المطلوب منه وكلما بدأ ليعمل فقد الثقة في مديره وفيما يطلبه منه لكثرة تنقله في أسابيع فيحدث تشتت للناس ويعلم الجميع وقتها أنه الانهيار والتخبط في القرارات من صفات الفشل الذريع وليُخفي ما في باطنه ولكن هو مكشوف أمام الناس ولكنهم يطبلون له... التخبط انهيار كالصاروخ حتما ولا بد من الصدام والانفجار في ذاته قبل الآخرين..

فأي عمل سيكون؟

وأي نجاح مطلوب؟

وأي ثقة موجودة؟!

وهنا العامل النفسي بل الطب النفسي يقوم بدوره؛ ما الذي أدي لذلك؟

الطب النفسي يُخبرنا أن ذلك نتيجة ارتباك فكري والخوف من الزوال الذي هو سنة الحياة والخوف من تواجد أحد العاملين من

الظهور ليطمسه فيحاول قتله معنويًّا ثم إداريًّا والتخلص منه بأي وسيلة وتحت أي مُسمي وأمام الجميع بل ورؤسائه حتى يظل هو المُسيطر ونشوة الإدارة ولذة الكرسي.

وطبعا هذا الخوف سيدمر كل شيء فهو الطوفان وإن لم يُدرك في حينه.. فستكون العواقب جسيمة وعلى كل إدارة ومستواها الأعلى.

النجاح له متعة والماهر من يكسب العاملين ليكونوا هم شعلة النجاح والتخلص من الأفاقين بدعم المدير فيعجز الفاشلون عن تحطيمه.... وهناك وقت لا بد أن يعتزل فيه صاحب الإدارة عندما تنفرط منه الإدارة..... وإن كنت أرى أن هذا القرار يتم من المستوى الأعلى له ويُبلغ به لحفظ ما تبقي له من....؟؟!!

وفي الختام، الإدارة الناجحة (معنويًّا وإنسانية) هي عنوان المدير (البارع)

*****

الضحك

هل الضحك يُعبر عن شخصيتك؟!

قد يفسر علماء النفس ذلك بالتفصيل... ولكن هنا مع الباشمهندس سنرى رؤية أخرى!!

فهو الآن يسجل بصوته على اللاب توب هذه الرؤية... نعم قد يضحك الإنسان بل ويبحث عن الضحكة ليخفي ألمًا جسيمًا نفسيًّا، فهو يبحث عن البهجة والبسمة وتراه عندما تعالت الضحكة يقول اللهم اجعله خيرًا!! فإنه يرى حتى اللحظات المختلسة للضحكة قد يُعاقب عليها بألمٍ نفسي آخر.. وربما يضحك ليحاول نسيان موقف ما.... ولكن هل الضحكة هنا طبيعية؟!

فهناك الضحكة بصوت عالٍ والضحكة المخنوقة والضحكة دون صوت ولكل منها معنى ورسالة.

وإذا نظرنا للبسمة فهي كذلك فالبسمة الصفراء هي نفاق واضح كالحرباء متلونة وتحمل خلفها المكر والخسة، والبسمة بنفس وصوت من الخيشوم استهزاء بالآخر واستخفاف به، والبسمة مع الإيماء بالرأس ولامعة العين هي رسالة توعد..... وهكذا .... وعندما أصبحت البسمة مسموعة فتحولت لضحكة.

هناك بشر ضحكاتهم شفاء لآخرين مجرد رؤيتها أو سماعها ولو من بعيد فهي مصدر اطمئنان لهم، فانظر وتدبر ستجد ما أحدثك به في حياتك أنت... وهؤلاء الناس قد تقترب ضحكاتهم من ضحكة المولود كم هي مبهجة ومريحة وطبيعية وعلى الفطرة والسجية دون أي أغراض...

اختلفت الضحكات ولكن المعنى في نفسية الضاحك!

*****

أين السعادة؟

أعلم أن الناس تبحث عنها وقد تكون قريبة منك ولكنك لا تراها، وقد تكون بداخلك ولا تشعر بها، والفرق كبير بين أن تراها وأن تشعر بها.

فأين تكون السعادة؟؟!

سؤال طرحه الباشمهندس في عيادته لنفسه وهو يتدبر في أثناء كتابته...

نعم أعلم أن الكثيرين اختلفوا في الإجابات على ذلك السؤال فمنهم من أجاب دون إحساس بالمعنى، ومنهم من أجاب مسرعًا دون تأمل، ومنهم من لا يعلم وإذا علم لا يقتنيها!!

فالخوف من انتهاء السعادة ينغص السعادة، فقد تكون في رحلة أو تقضي وقتًا سعيدًا وفي مكان تُحبه أو مع أحد تستمتع بمجالسته أو في أجازة، ثم تفكر في قُرب انتهاء ذلك ولذلك تهرب منك لحظات السعادة!!

فهل إجابتي الآن ستكون تقليدية؟

للأسف لا وربما الأفضل لا، فأنا أغوص في عمق النفس ولا ألتفت لنداء العقل هنا.. لأنه سيُفكر ويتخذ القرار بالإجابة..... ولكن وأنا أستمتع الآن في الإبحار في النفس أرى الجمال وصنعة

الخالق.. ما أجملها فطرة نولد بها! ولا سيما البراءة! فانظر للطفل ما يسعده، مجرد بسمة، لمسة حنان، إحساسه بوالديه.. ما أروعها من متعة؟! لا أظن أنه يوجد أسعد منه ذات اللحظة.. هذا لطفل لا يعلم ما هي الحياة ولا ضغوطها ولا... ولا.. ضحكة الملائكة له تجعله ملاكًا مبتسمًا يرفرف، يخطف قلبك أنت الأكبر سنًّا المنهك وترفرف مع هذا الملاك في سعادة غامرة دون ما يعكر صفوها!!

فأين أصحاب الدنيا؟

وأين أصحاب المال؟

وأين... وأين؟

وفي رحلة العودة من الغوص في النفس أري الواقع..

أرى -وبصراحة مطلقة أقولها- السعادة في الرضي.... فكيفما كان حالك وأنت راضٍ ملكت الدنيا، بل روضتها كالفارس الذي يمتطي جواده بكل ثقة يملك الزمام.....

فالسعادة أينما وجدتها فاحرص على ألا تهرب منك فهي تشعر بك، بل تكاد تراك ولا تراها فاحذر أن يتعكر اللبن.....

*****

فريسة الحب!!

قالت له: أحبك منذ زمن ودائمًا في خيالي وعندما أنام أراك، فماذا أفعل يا باشمهندس؟!

اندهش الباشمهندس من صراحتها المطلقة وحدثها:

- وما أنا بفاعل؟

فحدثته عن حبها الجم لحبيبها وأضافت: "دائمًا أردد له هذه العبارات وهو لا يبالي بمشاعري، فخبرني كيف ولماذا هو بالذات فأنا لا أعلم؟!

نظر إليها قائلا: "عزيزتي، هذا هو الحب من طرف واحد وترين فيه جميع فصول السنة وبين الغروب والشروق والشمس والقمر والغيوم والضياء، وأعلم تمامًا ما تشعرين به واسمحي لي بالغوص في عمق نفسك لأجد الحل وأعود به إليك.

عزيزتي أنت حقًّا رومانسية وتحبين بعمق وتحبين بجدية وترين هذا الشخص هو فتى أحلامك وترين فيه كل الفضائل، بل هو النموذج المثالي للحب بالنسبة لكِ....

لاحظ الباشمهندس قطرات الدموع تنسال على خديها بصمت.. فأكمل حديثه: وعينك تفصح عما يكتوي به قلبك وهو أصعب الحب وهو ألم لا يعلمه إلا صاحبه ومهما أخفيتِ عينكِ تفضحك ولسانك الأبكم يمتنع لكرامته وقلبك ينفطر.

ولكن يا عزيزتي سأخبركِ بما وجدته في رحلتي في عمقك.. أنت تحبين الحب ذاته.. نعم وليس هذا الشخص بعينه. أنت نقية شفافة.. مشاعرك رقيقة.... وبصراحة أنت فريسة الحب... نعم.... الحب يفترسك ويعلم أنك دون مقاومة بل ويستنزف مشاعرك وأنت مُسالمة تمامًا له... أنت كالفراشة في الضوء تذوب..... ولذلك أنتِ تذوبين في الحب وهو يستمتع بافتراسك.... فالحب رغم نعومته وهدوئه الظاهر ولكن في الباطن هو كأمواج البحر يسحبك فجأة إلى القاع وأقولها صراحةً ينقلب ويغدر بصاحبه في لحظة خطيرة ألا وهي عندما يتيقن من استسلام فريسته له فينجرف بها.... وأنتِ كنت كذلك..... كنتِ في الحب في هدوئه كأنك على الشاطئ وعندما تعمقتِ فيه ودون حذر ودون وعي ودون تفعيل عقلك لبرهة ما كنت انجرفتِ لمده وجزره.

مسحت الفتاة دموعها وهي تقول: نعم معك حق فلماذا تركت نفسي لإنسان لا يقدرني ولا يعبأ بي ولا بمشاعري.. ما هذا الهراء وما هذه الأنانية وما هذه الجريمة في حق ذاتي؟! فأنا كنت أحب فالحب لمن أحب..... الحب لمن يستحق.

الحب لمن يقدر ولمن يعلمني كيف أرتوي من حبه..

*****

المسرحية

تُفتح الستار على شابٍّ وشابة في مقتبل العمر في مشهدٍ رومانسيٍّ وكل منهما يطير مع الآخر في حلمه ويشاركه السعادة الغيبية بين الزهور وأنغام البلابل ويَعِد كل منهما أنه شريكٌ للآخر ولن يفرقهما إلا الموت... وتدور الأحداث بين معنى الحب والحبيب الأول.....

وفجأة يسود الصمت أرجاء المكان ويتحول إلى ظلامٍ دامسٍ... وصوت أقدام تقترب من الخلف.... وتساقط قطرات متسارعة تبين أنها دم بشري وصوت خافت يتحدث!!!

تُرى ما هذا؟؟؟!!!

هذا ما كان يفسره الباشمهندس في العيادة لزائر له.

كيف حدث ذلك؟!

وما الترابط بين هذا المشهد الرومانسي والمرعب ذات الوقت؟؟!

ليس منطقيًّا من الناحية الهندسية ولكنه من المؤكد أن له إجابة من الناحية النفسية ثم أخبرني عن اسم تلك المسرحية؟

وأين كان عرضها؟؟

وما مدة العرض سيدي؟؟؟

وهل هي مسرحية رومانسية أم مسرحية مرعبة؟؟

ثم ماذا كانت النهاية؟؟؟؟

وقام الباشمهندس ليبحث عن كتاب في مكتبته ليفسر ذلك لزائره..... وهو ما زال يتحدث بلهفةٍ له وهو في قمة اندهاشه مما يسمعه... ووجد الكتاب فالتقطه والتفت لزائره... ولكن ما هذا؟؟؟!!

لقد.....

لقد..... سقط الكتاب من يده... وهو يلتفت يمينًا ويسارًا... فقد اختفى الزائر محدثه..... دون أن يفُتح الباب؟؟؟!!!!!

*****

لا تنسَ زوجتك

دخلتْ إلى العيادة وتحدثتْ بسرعةٍ مع الباشمهندس:

لماذا لا يهتم الأزواج بزوجاتهم؟

وكانت منهارةً من البكاء

سأحكي لك، فلقد كنت في مشوارٍ وراكبة "تاكسي" وفجأة رن هاتف السائق وسمعت العجب، فقد كان يقول لها:

- "اهدئي يا حبيبتي لا يهمك... فداك فلوس الدنيا".

فقد فقدت مصروف البيت وهي تشتري احتياجات المنزل.. وظلت تبكي بكاءً حارًا أسمعه من الهاتف، وهو يقول لها:

- المهم أنت، لا تحزني هكذا... صحتك أهم.... حبيبتي أرجوك.... حبنا يعوضنا ما فقدنا..... سأشتري غدًا لنا معي وأنا راجع للبيت".

لقد اندهشت من المكالمة وجلست أنطوي أبكي وأتذكر ما يفعله وفعله زوجي قبل نزولي من البيت، وكيف كانت معاملته لي، وكيف تشاجر معي في مثل هذا الموقف منذ سنة، لم يقل لي كلمة واحدة أشعر فيها بتلك الرحمة والمودة والحب، بل والخوف على زوجته.....

فنظر إليها الباشمهندس متحدثًا: نعم معك حق فيما تحدثتِ به عن العلاقة بين الزوجين ولا بد من مراعاة شعور الزوجة والاهتمام بها ومنحها الحب في المعاملة بكل ود، فهي شريكة الحياة وتعاني الكثير من المسؤولية وغير المسئولة عنها أيضًا عزيزتي لا بد أن أتحدث إلى زوجك، سأنتظره هنا في العيادة.

وخرجت مبتسمة جدًّا تشكر الباشمهندس.. وهو يقول في سره وما أدراها أن هذا السائق الولهان كان يُحدث زوجته؟!

*****

التشريح النفسي

نعم النفسي ولست طبيبًا ولكن هيا نغوص في النفس (بمنظاري الشخصي) .....

تُرى أين العقل في القلب؟!!

هل اتخاذ قرار نابع من العقل القلبي؟!

وأين المشاعر؟

بل أين الخَسة والخُبث؟

بل حدثني عن الحب والخوف ومن الذي يُبلغ الجسد بذلك؟؟!!

أبحرت في النفس البشرية وتعاملت مع أنواع كثيرة جدًّا جدًّا من البشر ومن محافظات مختلفة وخارج الجمهورية وتعاملي معهم في بلادهم..... رأيت قلوبًا قاسيةً متحجرةً يكاد الحجر يتفجر أمام قسوتهم ورأيت بمنظاري كلما تعمقت في النفس شفافية تبدو على الوجوه تفصح عما بداخلها ورأيت خُبثًا ومكرًا وخسة تفوح رائحتها القذرة من أجساد هؤلاء تفضح نواياهم ويظنون أنهم يُخادعون الناس وهم أحقر النفوس وكأنك ترى جيفة أمامك!! نعم قد تمتزج العقول بالقلوب وتستقر في قفصك الصدري تمنح الإشارات لباقي الجسد ليتلقى الأوامر وينفذها وتكون ذات رحمة وعدل، وقد

تستقر في الرأس وتقوم بنفس الأوامر ولكنها بلا رحمة وبلا احتواء وبلا روح...

والحقيقة يُولد الإنسان على الفطرة الطيبة ولكن الطمع والجشع والحقارة يتوارثها الإنسان وبتعمد صارخ ولذلك أصحاب المشاعر والرحمة والحب والإخلاص تراهم في شتات، فهم يُصارعون هؤلاء، ولا سيما أنهم يُنمون تلك الصفات بل الأخلاقيات منذ إدراكهم للحياة ويُشاهدون تلك الزهور وهي تزدهر أمامهم....

الغوص في النفس البشرية أخطر جدًّا من الجراح، لأنك قد تصل في الغوص لمرحلةٍ لا تعرف العودة سواء كُنت بمفردك أو تنقذ أحدًا، فقد تتلاشى بين العقل والقلب وتفقد التوازن وتضل الطريق،، وقد تتشابك مع العقل والقلب وستُدمرك النفس بينهم...، هناك من يقتل الحب وبتعمد وهناك من يدفعُه للانتحار والفرق أن الأول منعدم الإحساس والثاني يتخفى في صورة ملاك وكلاهما عقل دون قلب، وهناك من يزن مشاعره بميزان العقل وطبقًا لحاجاته الشخصية وهو بذلك متحكمٌ في قلبه لأن قلبه هو عقله، ففقد مذاق المشاعر وروحها، النفس كالمحيط لا يخترقها إلا غواص ماهر ومن دون ذلك فقد يضلك فالنفس تحتوي العقل والقلب ولكن من منهما يحتوي النفس؟؟؟؟!!!

(غواص في النفس البشرية)

*****

الفرج بعد الشدة

إذا علم العبد أن الله وليه وعبده وانقطعت آماله إلا عنده. لم يكله إلى سعيه ولم يحرمه عنايته. فقد أخبر الله تعالي أن الذي مر على قرية استبعد أن يكشف الله عنها وعن أهلها البلاء لقوله:

﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾

[البقرة: ٢٥٩]

فلا شدة أشد من الموت والخراب ولا فرج أفرج من الحياة، فأعلمه الله أنه لا يجب أن يستبعد فرجًا من الله، وأنه يحي القرية وأهلها كما أحياه.

ولا تظن بربك ظن السوء... فإن الله أولى بالجميل.

وعند انتهاء الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق البلاء يكون الرخاء، فإذا حصل للعبد اليأس من كشفه من جهة المخلوقين.

تعلق قلبه بالله وهو حقيقة التوكل على الله والله يكفي من توكل عليه، والعبد إذا اشتد عليه الكرب حينئذٍ يحتاج إلى مجاهدة الشيطان لأنه يقنطه ويسخطه. ولنتذكر محن الأنبياء قصة آدم وقصة نوح وكيف أُمتحن في عصيان ابنه له، ويعقوب ويوسف عليهما السلام، وأيوب وما أُمتحن به من الأسقام، ومحمد ﷺ ورميهم إياه بالجنون.

يا صاحب الهم إن الهم منفرج.... لا تيأسن فإن الفارج الله، ولا بد من الأخذ بالأسباب التي نرجو بها تعجيل اليسر بعد العسر، فقد قال الله تعالى:

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾

[الطلاق: ٢-٣]

وتعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة. وقال سبحانه:

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

فالدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه.

الدعاء أما يكون أقوى من البلاء فيدفعه، أو أضعف فيصاب العبد ولكن قد يخففه، أو أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه وكذلك كثرة الاستغفار والصلاة على النبي والاستغاثة بالله.

﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢﴾ [نوح: ١٠-١٢].

والمحن من الله لخلقه لتفتح القلوب والأبصار وتذكر بالنعمة وتنبه من الغفلة والإيمان بقدره خيره وشره.

إذا لاح عُسر فارج يُسرًا فإنهُ... قضيَ الله إنّ العُسر يتبعه يُسر

*****

قصة قصيرة

دخلت (هدى) عيادة الباشمهندس وجلست تحدثه عن هذه القصة!!

فتاةٌ تذهب إلى طبيب نفسي وتسرد له كل ما في حياتها ليساعدها على اجتياز العقبات.... وجلسة وراء جلسة.. بدأت الفتاة لا تشعر بالراحة إلا بوجود هذا الطبيب في حياتها.... وشرعت الفتاة في التفكير تُرى ما السبب؟! هل هي راحة نفسية؟ هل هو بارعٌ في عمله فاخترق النفس ويأخذها لبر الأمان؟ هل يُحطم العقبات ذلك الطبيب فيمنحني هذه الطاقة الإيجابية؟ هل هو حب؟ ومن أي نوع؟ وانفجرت التساؤلات؟؟؟!

وهل هو يشعر بذلك؟ وهل هو ينظر إلي كمريضة وفقط؟

وعلى الجانب الآخر يعلم الطبيب البارع تمامًا أن هذا نتيجة اختراقه المتميزة لهذه الحالة ومنحها ما تفقده وما لا تراه هي في حياتها إيجابيا، بل منحها التحرر من القيود النفسية...

وما رأيك يا عزيزي القارئ أن لا أخبرك بالحقيقة بالأسلوب التقليدي. بل سأجمعهما في هذه الجلسة أمامك ولترَ هذا الحوار ولا تندهش ولا تنصدم..... نعم!!

- كيف حالك يا عزيزتي... هل أنتِ بخير؟

- نعم يا دكتور.. ولكن سأكون صريحة معك وأخبرك بما يدور بداخلي تجاهك.

- عزيزتي أعلم ما بداخلك جدًّا وما تودين أن تقوليه ولن أحدثك أن تخبريني بنفسك بل سأُسارع أنا وأقولها....!! لا بد أن تعلمي أن هذا طبيعي جدًّا ما تمرين به ولذلك لا بد من الفطام... نعم لا بد من فطامك.....

- ماذا يا دكتور؟؟؟!!

- نعم في هذه المرحلة وبالذات لا بد من ذلك، الاعتماد على نفسك وتقليل الجلسات وليس ذلك للصدمة ولكن لتقف النفس مع نفسها لأن هذا دائمًا نجده مع المرضى وهو حب المريض للمُعالج له، حتى لو طبيب قلب أو باطنة.. قد تتعلق به جدًّا.....

- انتظر يا دكتور؟؟ وماذا عن مشاعرك؟؟ أين أنت من هذا وكيف تواجه كل هذه المشاكل والعقبات والناس بمختلف أفكارهم ومعتقداتهم... هل نحرت قلبك؟؟!! هل قتلت مشاعرك؟؟

ولأول مرة ترى الفتاة لمعان دموع طبيبها فتوقفت، وأسرد هو:

- بل هذه مهمتي للبشرية وأنا كذلك ربما احتجت أُفرغ نفسي مع زملائي.... ولكن ما رأيته من أحزان وقهر وألم جعلني أصمد لأمد يد العون لمن يستغيث بي....، ماذا يا عزيزتي لو تزوجنا؟؟؟!

- لا أعلم ماذا سيكون؟ هل ستنظر إلي طول الوقت أني مريضة؟ هل كل شيء سأفعله ستُترجمه لفعل نفسي؟ وهل كل كلمة حب أو مشاعر مني ستقرأها تعطُش لذلك؟؟ كيف ستتعامل معي؟؟

هل تخشى من زملائك أن يحدثوك أنك تزوجت مريضتك؟؟! وهل هذا يضرك في عملك ونقابتك؟؟ وهل أنا عندما أراك تحنو على مريضة أخرى سأكون طبيعية معك؟ بل أخبرني بالله عليك هل ستستمر هذه الراحة النفسية معك بعد الزواج أم ستكون مثل أي زواج تم وبعد ذلك روتين الحياة يقتله؟؟ والمفاجأة أنك ربما أصلًا لا تفكر فيَّ هكذا؟؟؟؟ الحقيقة يا دكتور أن أعتز بك جدًّا ولا أرى غير أن هناك علاقات لا نهاية لها كما لا بداية لها... وأرى أنه ليس كل حب هو حب فعلا وليس كل حب حقيقي يعيش بعد الزواج، بل قد يأتي راسخًا بعده رغم أنه زواج صالونات.... الواقع يا طبيبي هكذا الدنيا.... قد تركب قطارًا وبجوارك رفيق السفر وتتحدث معه وترتاح له أو لها... ولكن حتمًا ولا بد من النزول، كُلٌّ في محطته وقد تظل العلاقة بالتواصل..... هناك يا طبيبي مثل هذا الكثير في حياتنا.... وقد تكون رفيقًا في الحياة ولكن دائمًا ستكون سر سعادتي وطموحي وإبداعي.

وسمعت الفتاة تصفيقًا حادًّا من طبيبها قائلًا لها:

- حمدًا لله على سلامتك.. أنتِ الآن لستِ مريضة، أنتِ فهمتِ الحياة وتعلمتِ منها وهذا نجاحٌ لك قبل أن يكون لي.

وهنا وقفت الفتاة احترامًا لطبيبها متحدثة:

- أكنّ لك كل الاحترام والتقدير واسمح لي بزيارتكم كلما عصفت بي رياح الحياة.....

وهنا نظر الباشمهندس إلى (هدى) قائلًا:

- هذا الدكتور بارعٌ جدًّا واستطاع أن يتوغل في عمق هذه الفتاة حتى فهمت هي نفسها بسرعةٍ وذكاء، وهذا هو الانسجام النفسي والذي يعود من مهارة الطبيب النفسي.

أشكرك على هذه القصة التي علمتني الكثير وزادتني غوصًا في النفوس.

*****

لغة الصمت

تُرى أيهما أقوى لُغةً: لغة الصمت أَم لُغة العيون؟؟!!

سؤال طرحه زائرٌ اليوم في عيادة الباشمهندس، فنظر إليه مبتسمًا لمتعة السؤال وعمقه وقال له:

- هيا بنا نرتدي بدلة الغوص ونغوص معًا لترى الإجابة بنفسك.....

لُغة العيون أرى أنها فضاحة ومَباشرة وهي لُغة بارعة لا يعرفها بل لا يستشعرها كثيرُون وهي لُغة سهلة لمن أنعم الله عليهم بفك شفرتها، فعندما تمتزج العيون ببريقها وألوانها وتُبحر فيها ستصل لبر الأمان أو قد تغرق ولا تعُود، وإن كُنت أبحرت دُون مُقومَات فلن تستطيع النجاة من أمواجها وحتمًا ستُصَاب بدُوار لن تُفسره!!

أَما لُغة الصمت فهي مُؤلمةٌ وحادةٌ ولا يفُك شفرتها إلا من يملكون الحَس المُرهف ومن يتحدثُون بالروح والغوص في النفس البشرية..... فمن المُؤلم أن تصمت عندما يُقطع لسانك عن الحديث وقد يكون تشبعت من الحديث وقد يكون من تُحدثُه لا يُقدرك وإن قدرك استهان بحديثك ولرُبما تجاهل الرد..... الواقع المُؤلم هنا أن هذه اللغة قَاسية وتُمزق القلُوب تمزيقًا وقد تفتك به وتنهي نبضَاتُه.. نعم لمن خُلق بالإحساس ويعي ويشعر ويفهم ويبكي ويفرح ويحزن ويضحك.... رفقا بهَؤلاء..... فهؤلاء لا

يصمتُون إلا بعد نزف وما زال ينزف وإن رأيتُه فاعلم أنه نازف ولا يُخبرك وقد يشتاق لحرف منك أو سلام اطمئنان ولا يطلُبها ولن يطلُبها فصمته قد حكم عليه بالخرس لما قد تعرض له. فرُبما صدمة ورُبما تجاهل ورُبما عطاء جام قُبِلَ بجفاء جافٍ..... ورُبما..... ورُبما....

لُغة الصمت قد تأتي بتعمد وردًّا لموقف وهنا لا بد من راسل رسالة الصمت أن يعلم يقينًا أن من أُرسلت له سيفهم ويُدرك وإلا سيُصَاب بألم قاتل..... وقد تهبط تلك اللغة دون إنذار وتكون قاسية لمن هَبطت عليه فلقد تعرض لمواقف شتى فوصل لذلك... ولكن هل ستكُون رَحمة له فيهدأ؟؟ أم ستصل به برد فعل عنيف قاتل لنبضات قلبَه؟

وإلى الأبد؟؟؟! تلك اللُغة قد تقتل صاحبها لموقف سبب له إحراجًا قاسيًا فصمت بعد أن رأى إحراجه لا يُعتد بِه فنزف أكثر....

لُغة الصمت لا تستهينوا بها فهي أشد فتكًا من لُغة الحَديث وهي نزيف أمامك فقد تطير لتوقفه، وقد تتأمل في فريستك وهي تمُوت كبدًا.... فمن رأى منكم ذلك فليُراجع ذاته وليأخذ بمن صمت فهي رسالة تحمل الكثير والكثير لمن يعي وليستشعر الخطر أيا كان من الصامت ومدى علاقتك به ستُحاسبُون على جرح النفُوس في الدنيا قبل الآخرة..... وستَرُون مَا أُحَدثكُم...

*****

حالة حرجة جدًّا

دخل زائر العيادة ثم استرخى يتحدث مع الباشمهندس لقد جئت أحكي لك قصة غريبة لا أجد لها تفسيرًا.

- تصور يا بشمهندس لي صديق غالٍ منذ طفولتنا ونحن واحد، فلقد كان آتيًا لزيارتي في المنزل منذ يومين، ثم وهو يعبر الشارع الذي تسير فيه السيارات كسرعة الطائرات وفجأة وهو يعبر جاءت سيارة مسرعة....

فقاطعه الباشمهندس:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، وما حالته الآن؟

- يا باشمهندس.. الحمد لله تفادى السيارة ولكنه عندما وصل للرصيف مسرعًا ولم ينظر إلى عمود النور أمامه...

- لا إله إلا الله وصُعق؟

- يا باشمهندس لقد جذبه أحد المار قبل اصطدامه بالعمود، المشكلة أنه في التاكسي الذي ركبه عند قدومه إلي، انفجر الإطار الأمامي الموجود تحته بالضبط يمينًا....

- يا ساتر يا رب حادثة مفزعة جدًّا وكيف حاله الآن؟

- يا باشمهندس خرج سالمًا وساعد السائق أيضًا في تغيير الإطار واستكمل معه السير ولكن أوقفه لص مسلح وحاول صديقي أن ينجو منه ولكن للأسف أطلق اللص رصاصةً غادرة....

- إن لله وإنا إليه راجعون.. أكيد ترك في نفسيتك حزنًا عميقًا.

- يا بشمهندس لم يصب بالرصاصة الحمد لله واللص تم القبض عليه بالدورية التي تصادف مرورها وقتها، المحزن فعلًا لصديقي الغالي أنه عندما وصل للشارع الذي أسكن به وأمام عيني وأنا أنظر إليه من البلكونة أحييه لوصوله إذ فجأة انشقت الأرض عن كلب مفترس ينبح كأنه أسد وجرى اتجاه صديقي...

- سبحانك يا رب الكلب مزقه.. أمام عينك وأنت تنظر إليه من بلكونتك.. لقد فقدت أغلى أصدقائك أمام عينك.

- يا بشمهندس صديقي جرى بسرعة وأغلق خلفه باب العمارة وصعد في المصعد إليّ ولكن للأسف.....

- البقاء لله أكيد سقط به المصعد.. ربنا يصبرك.

- يا بشمهندس لماذا تنتظر موت صديقي؟! لقد حضر وجلس معي جلسة رائعة جدًّا ولكن....

وهنا واقف الباشمهندس متحدثًا لزائره:

- لا شكرًا سأكمل أنا القصة.. طبعًا أثناء شريكم الشاي وقف في حنجرته وحدث له اختناق، ولكن الحمد لله بلع "البسكوت" وأصبح بخير.

- لا يا بشمهندس.....الشاي فعلًا وقف في حنجرته ولكن كيف عرفت؟؟؟؟؟!!!

*****

هل فاقد الشيء يعطيه؟؟

كثيرًا ما نسمع أن فاقد الشيء لا يعطيه، فهل هذا صحيح؟

من فقد الحب والحنان يستطيع أن يمنحهما؟

من فقد العدالة؟ من فقد الرحمة؟؟ هل حقًا يستطع؟ وكيف فهو لا يملك هذا أو ذاك؟؟!!

لو أبحرنا في النفس البشرية وتوغل الباشمهندس في الغوص لعمق النفس فيعود ليخبرنا أن هناك من يستطع!!

هناك من ذاق الحرمان من الحب والعاطفة، من تم بيعه في سوق القسوة وذُبح بسيفها ولم يعرف مذاق الرحمة، وهناك من ظُلم ظلمًا فجًّا.... هؤلاء عرفوا المذاق وترك عندهم جينات أخرى تصارعت مع فقد هذا الشيء لتطفو فوق المشاعر، وتصبح النفس هنا بين فاقد الشيء ومانح نفس هذا الشيء، فحرمان النفس من الحنان قد تولد إنسانًا منبعًا للحنان فأراد أن يمنح الآخرين ما فقده ويكون مصدر الحب ذاته.. لا تتعجب عزيزي القارئ.. فهناك نفوس تستجيب وتتغير وتمنح ما فقدته، فالظلم مثلًا يعصف بالمظلوم ويرى هنا العدالة وقد هُتكت فأرادت ذاته تعويض ما شاهده فيتحول لمتعة العدل في كل تصرفاته الشخصية والعامة وهو مرتاح الضمير وفي كل مرة ينصر الحق يخاطب عمق نفسه

ويذكرها بالظلم الذي تعرضت له ولكن الآن هو سيد القرار. وكذلك من تعرض للقسوة من أقرب الناس إليه، فمنهم من ينتقم ومنهم من يحنوا رغم فقده لهذا ولكن القسوة حفرت في شرايينه ما جعلها تلفظ كل شيء إلا إعطاء الحنان والحب لأنه هو العلاج الأوحد له، فأصبح يمنح ما فقده وهو سعيد لرؤية السعادة ولسلامة ذاته.... فحقًّا هناك من يمنح ما فقده...

(من روشتات الباشمهندس في العيادة)

*****

من أنت وبصراحة؟!

تُرى من أنت ومن تكون؟ هل أنت فعلًا أنت أم أنك نموذجٌ مطبوعٌ لشخصيةٍ أثرت فيك أو شخصية أحببتها أو شخصية جرحتك وربما قست عليك ولعلها دهستك؟!!!

هل سألت نفسك ذلك، بل أخبرني هل أجبت وبصراحة؟!

اسمح لي عزيزي القارئ أبحر معك في صندوقك الأسود المغلق الموصود وحضرتك أغلقته وكسرت مفتاحه بلا عودة فلا يصل إليه أحد قد يجده.

الآن أفتح معك الصندوق بمخدرٍ موضعي وأعلم أن صوت فتحه مزعجٌ جدًّا فقد تملكه الزمن وربما قد أصبه الصدأ ولكنه يُفتح رويدًا رويدًا.... ما أبشع ما أراه وما أفظع ما أشاهده الآن!!!! كيف لهذا الصندوق المظلم أن يتحمل كل هذا الاحتواء بين المتحجر والقاسي والخيوط المتشابكة كالعنكبوت وما هذا الغل والحقد والأنانية...ثم ما هذا؟؟؟؟!!

معقولة؟! لا أصدق... تحت كل هذا الحب والود والرحمة والتضحية والعطاء ولين القلب.. بل أرى دموعًا وشجنًا.... يا له من منظرٍ عجيب؟! الفطرة صالحة نقية... دُفنت تحت بشاعة ما فوق السطح... نعم..... أنت هنا.... ما بين ما يطفو وبين ما دُفن، فأين استقررت فيهما؟؟!... ولكن هناك من استطاع أن ينجو بما

في قاع فطرة الإنسانية السليمة وتلوث ببعض السطح دون قصدٍ كمن تعلم القسوة ممن قسا عليه دون رحمة وكذلك كمن تعلم تحجر مشاعره أمام انفطار عينه وذلك بفضل أستاذه الذي علمه فقط، فأصبح هو محترفًا للأسف... نعم.... هناك من أصلهم معدن نفيس نادر بل اندثر ولكن تلوثوا بمن لم يثمنهم بحقهم.... فاعلم أيها الإنسان.. من أنت وبصراحة؟! وهل لو تلوثت استطعت أن تعود كما كنت؟ بل أخبرني هل وجدت نفسك في أيهما؟!

بل هل ما لوثك أفادك؟ هل من رآك ذلك اختلف في تعامله معك بالإيجابية ومنحك حقك أم زادت السلبية منه؟؟!!

هناك أناس يعيشون بشخصياتٍ ليس شخصيتهم الحقيقية بل تقمسوا أشكالهم حد أفعالهم ويظنون أنهم هم وليس بِهم!

(من روشتات عيادة الباشمهندس)

*****

حوار مع طبيب نفسي

(٢) (للسيدات فقط)

حضرت الدكتورة (داليدا) لزيارة الباشمهندس في عيادته:

- تفضل يا باشمهندس على الشزلونج لتبدأ جلستك العكسية.

- نعم يا دكتورة حضرتك عرفت نظامي فأنا أعشق الغوص في النفس وأستمتع بوجود قامة كسيادتك للحوار.

- إذًا تفضل بأول سؤال.. وسأحاول أجد حلًّا لك.

تحدث مبتسمًا:

- فلنبدأ وسأقص عليك قصة غريبة وعجيبة ربما وجدت لها شفرة اللغز النفسي.

في يومٍ ما حضر لي زائر وهو يضحك لي بهستيرية وأحاول أفهم ما الخطب؟!

وبعد فترة هدوء بدأ الحديث وما لبث أن بدأ وانفجر من الضحك ودخل في نوبة وأنا أنظر إليه مبتسمًا ولا أعلم كيف أسكته، هل أنهره؟ هل أكشر عن أنيابي له؟!

هل... هل؟

وفجأة أفزعني متحدثًا بصوتٍ عالٍ: "يا با شمهندس أنا جاي ليه؟!".

فنظرته إليه بغيظ... وقبل النطق بحرف قاطعني بنوبة أخرى من الضحك.. وقد زدت غيظًا وقررت أن أضربه على وجهه كي يسترد عقله.... ولكن وقف فجأة وقال لي: اجلس يا بشمهندس على الشزلونج لتهدأ وسأحدثك.

والحقيقة أني نهرته بشدة وقلت له:

- "يتحرق الشزلونج على العيادة، أنت تروح لطبيب نفسي أحسن.. أنا راجل مهندس نعم أعشق الغوص في النفس البشرية ولكن مش النفس اللي واقفة أمامي الآن!!".

ونظر إليّ نظرة لم أنسَها إلى الآن وقال لي:

- ولذلك أتيت إليك.

- نعم حضرتك ماذا تقصد؟؟؟!!

ثم بدأ يتحدث.....

تحية الصباح والمساء لحضرتك.... وكل التقدير والاحترام إنما نحن أمام سرٍّ عظيم يخترق عقل المرأة وخاص جدًّا بها بل تنفرد هي به كل الانفراد عن الرجال.... عزيزتي المرأة...كم أنت رائعة في ذاتك وثقتك بنفسك وأنت أمام عجلة القيادة في السيارة؟! وكأنك على كرسي الوزارة.. وكم هي قرارتك السريعة النافذة حينها؟! وطبعًا هذا أسلوب تعجب في البلاغة.... فحضرتك تقودين السيارة

منفردة بالطريق وكأنك وسط السحاب لا ترين منه الطيور وتسخدمين الإخفاء والتمويه بجدارةٍ فلا أحد يعرف نواياك يمين ولا شمال... ستلفين الدوران القادم أم مستمرة على طول؟ ويا ترى هي ماشية تعبانة أو مريضة لا قدر الله، واجب الاطمئنان فالسير ببطءٍ مقلق ربما ذبحة أو حالة ولادة فجأة أو في عطل في السيارة فحتما لازم نتخطى حضرتك للاطمئنان.... وفجأة دوران يمين دون أي إشارات لأن غالبًا بعض السيدات لا تنظر للتفاهة دي هو ما حدش يعرف رايحة فين دي حاجة خاصة وعيب، فالدوران مع عدم إشارة بيرجع إن بعضكن لا يعرف مكانها أصلًا فين فالسيارة والآخر لا يعرفن استخدامها وما تبقى دي حياتي الخاصة، ولو هتخدي الدوران يا ترى أخده بسرعة وشمالي ولا ببطء ويمين، القرار بيكون في لحظتها حضرتك مش محضرة من قبلها وبالتالي الدوران بيكون بمقطورة وبسرعة حادة وقاطع الطريق من أقصى الدوران شمال لحد الرصيف اليمين، طب والله زي ما بقول لك كده وأمام عيني والطريق كله وقف فجأة وتحاشى المرور بجوار السيدة الفاضلة حتى نطمئن على القرار الصائب،،، ثم سيادتك وبكل هذه الثقة كمان بتستخدمي الموبايل لا وماسكة بيد واليد الأخرى تاركها لنا ربنا معاكم، إنتوا واحشين يعني أسوق ولا أشوف البنت خرجت من النادي ولا طريقة عمل البامية بالبطاطس.. إنه الإعجاز حضرتك..... وأما الفتنة التي أخشاها وأدعو الله أن يجنبها الكل.. عندما ترى سيارتين متصادمتين وهما الاثنتان سيدتان وكل واحدة تذم الأخرى لسواقتها.... فتلك اللحظة هي

الفتنة بل اللعنة فلا بد أن تفر بسرعة من بينهما قبل حلول اللعنة عليك..... لما دا رأيهن في بعض... أنت هتروح فين؟!

وهناك سيدتي الفاضلة حكمةٌ لا يعلمها إلا حضرتك وهي حكمة إصرارك أن تقفي بالسيارة بين سيارتين واقفين لركن سيارتك فإصرارك أن تدخلي بينهما بمقدمة سيارتك وليس بخلفية السيارة وبالتالي لا تري مقدمة كلا السيارتين وغالبا بتصدمي الاثنين عند الدخول بينهما أو بتركني وما بتعرفيش تنزلي من بابك لأن السيارة بجوارك غلطانة بابها هو اللي قفل عليك بابك.. أو بتقفي في منتصف الركنة وتطلبي المساعدة: أغيثوني حد ياخد المفتاح ويركن... أصلي مستعجلة..... الحقيقة.. هنفضل نتعلم كل يوم الجديد.... وبناءً على ذلك....

لحضرتك الطريق وأي حد ماشي تاني يمشي بعيد طريق الساحلي الدولي

لا تنتظر من أي امرأة تقود أن تفصح لك عن حياتها الخاصة بإعطائك أي إشارة من أي نوع لاتجاهها أو دورانها..

لا تركن بجوارها أو أمامها أو خلفها اترك البارك كله لها

لو رأيت أي سيارة بها سيدة تقود وتتحدث في تليفونها ذات اللحظة وبيد واحدة، اطلب الإسعاف تقابلكم الناصية القادمة

تذكر دائمًا أن الدورانات لها بمقطورة فانتظر الاستقرار

لو وقفت سيارة أمامك فجأة وبالتالي اتصدمت بها وبالتالي من خلفك اتصدم بك أرجوك لا تنزل، لأنها حدثت معي بالفعل ونزلت

وجدت الأمامي سيدة واللي خلفي سيدة فعرفت أني من المحظوظين ورفعت أمري لله.

وأخيرًا..... كل من منح رخصة لامرأة فهو محظوظ لأنه محاط بهالة من الدعوات طوال اليوم والليل.

ثم انصرف هذا الرجل يا دكتورة وهو يُحدث نفسه ورأيته بعيني يمشي وكأنه يسوق سيارة مستعملًا صوته كأنه كلاكس سيارة، ولا أعرف لماذا حضر ولا لماذا انصرف؟؟؟ فما تفسيرك يا دكتورة لهذه الحالة؟؟!

فنظرت إليه بغضب وغيظ:

- وما الذي يُضحك في ذلك يا بشمهندس وأي تفسير تريده؟؟!!

- بعد إذنك سأنصرف وبعد كدا بلاش الهزار السخيف ده وقولي من الأول إن سواقتي وحشة.... مسكين الراجل ده... أنا اللي كنت سايقة أمامه..... !!!

*****

المحتويات

المقدمة ٥
العلاقة بين الباشمهندس والباش حكيم ٧
سر الإبداع ١١
حوار مع طبيب نفسي (١) هل للقلب عقل؟؟ أم للعقل قلب؟! ١٣
الراحة النفسية ١٧
المدير الناجح والإدارة الفاشلة ٢١
الضحك ٢٥
أين السعادة؟ ٢٧
فريسة الحب!! ٢٩
المسرحية ٣١
لا تنسَ زوجتك ٣٣
التشريح النفسي ٣٥
الفرج بعد الشدة ٣٧

قصة قصيرة ٣٩
لغة الصمت ٤٣
حالة حرجة جدًّا ٤٥
هل فاقد الشيء يعطيه؟؟ ٤٧
من أنت وبصراحة؟! ٤٩
حوار مع طبيب نفسي (٢) (للسيدات فقط) ٥١